رقائق

والليل موعدنا

« رأيت الفوائد ترد فى ظلم الليل »

« السرىّ السقطى »

• « سفرالليل لا يطيقه إلا مُضمّر المجاعة ، تجتمع جنود الكسل فتتشبث بذيل التوانى ، فتزين حب النوم ، وتزخرف طيب الفراش ، وتخوف برد الماء ، فإذا ثارت شعلة من نار الحزم أضاءت بها طريق القصد ، فسمعت أُذُن اليقين هاتف « هل من سائل ؟ »

فقمتُ أفرش خدى فى الطريق له ذلاً وأسحب أجفانى على الأثر

• نفس المحب فى الليل على آخر نفس ، وفى المتعبدين قوة وهم يستغفرون .

صراخ الأطفال غير بكاء الرجال .

• سهر الليل هودج الأحباب ، تيقظ الأسحار ، وآثار الأخطار ، فلو رأيتهم وقد لاحت الجوزاء قد افترشوا بســاط قيس.. كلهم قد بات بليل النابغة .

إن ناموا توسدوا أذرع الهمم ، وإن قاموا فعلى أقدام القلق ، كأنّ النوم حلف على جفا أجفانهم .. هذا رضاك نَفَى نومى فأرّقنى .

فلما تمخّض الدّجى بالسحر ، تساندوا إلى رواحل الإستغفار .

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لأن النوم يغشى عيونهم سريعًا ولا يغشى لنا النوم أعينا

رياح الأسحار أقوات الأرواح . رقت فراقت حرّ الوجد ، وبلغّت رسائل الحبّ ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد .

مكروب الوجد يرتاح إلى النسيم ، وإن قلقل الواجد .

عبارة النسيم لا يفهمها إلا المشتاق ، وحديث البروق لا يرق إلا للعشاق .

خلوا بالحبيب فى دار المناجاة فضمخهم بطيب المعاملة ، وغالية السحر غالية ، يصبحون وعليهم سيما القرب « وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا » .. تفوح أرواح الجنة والقيام من ثيابهم ..» .

• فتأسف يا جيفة القوم ، وابك يا عُريان الغفلة .

أتدرى كيف مرّ عليهم الليل ، ألك علم بما جرى للقوم ... أيعلمُ خالٍ ما جرى للمتيم دخلت رفقة « تتجافى » قبل السحر ، ومطرود النوم فى حبس الرقاد . فما فكّ عنه السجان القيد حتى استقر بالنوم المنزل[1] .

تخيّروا شواطىء أنهار الصدق ، فشرّعوا فيها مشارع البكاء ، وانفردوا بقلقهم ، يسعدهم ريم الفلا ، وترنّمت بلابل بلبالهم فى ظلام الدجى . فلو رأيت حزينهم يتقلب على جمر الغضا فيا محصورًا عنهم فى حبس الجهل والمنى ، إن خرجت من سجنك لترويح شجنك مِنْ غمّ البلى ، عرّج بذاك الوادى . تلمّح القوم الوجود ففهموا المقصود ، فجمعوا الرحل قبل الرحيل ، وشمرّوا فى سواء السبيل .

« سيماهم فى وجوههم ... ما ضرّهم ما غرّهم ... أعقبهم ما سرّهم ... هان عليهم طول الطريق لعلمهم شرف المقصود ... وحلت لهم مرارات البلى حبًّا لتعجيل السلامة فيا بشراهم يوم هذا يومكم .

شقينا فى النوى زمنًا فلمّا ... تلاقينا كأنا ما شقينا
سخطنا عندما جنت الليالى ... فما زالت بنا حتى رضينا
سعدنا بالوصال وكم سعينا ... بكاسات النعيم وكم شقينا
فمن لم يحيى بعد الموت يومًا ... فإنا بعد ميتتنا حيينا[2] »

● ماذا فاته من فاته قيام الليل ، أما لكم همّة تنافسون الحسن وسفيان وفضيل ؟ .. أما سمعتم قول السرىّ : « رأيت الفوائد ترد فى ظلم الليل » ؟.. نادِ فى الدجى : قدْ قدم الغائب[3] .

---

(١) اللطف فى الوعظ ص ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .
(٢) اللطف فى الوعظ ص ٣٦ .
(٣) عقود اللؤلؤ والمرجان فى وظائف شهر رمضان .

أخى :

الليل يضج من طول نومك ، والنهار يستغيث من قبيح فعلك .

يـا أيها الـراقـد كم تـرقـد   قـم يا حبيبي قد دنا الموعدْ
وخـذ مـن الـليـل وساعـاتـه   حـظًـا إذا هـجـع الـرُّقَّـدْ
مـن نام حتى ينقضى ليله   لم يـبـلـغ المنزل أو يجهدْ
قـل لـذوى الألـبـاب أهل التقى   قـنـطـرة الـعـرض لـكـم موعد

● يا نائمًا فى انتباهه كم هذا الهجوع ؟

أخى :

قد قيّد الطرد قدميك ، وغلّ الإبعاد يديك ، أفما لك عين تبكى عليك ؟

وفى نظر الصادى إلى الماء حسرة   إذا كـان ممنوعًا سبيل الموارد

أخى :

قـم بـنـا يـا أخى لما نَتَمَنَّى   واطـرد الـنـوم بـالـعـزيمة عـنّـا
قم فقد صاحت الديوك ونادت   لا تـكـون الديوك أطرب منّا

● مجالس المتهجدين مآتم الأحزان .. هذا يبكى لذنوبه ، وهذا يندب لعيوبه ، وهذا على فوات مطلوبه .

● سل الليل عن الأحباب فعنده الخبر ، خلا القلب بالفكر فى بيت التلاوة ، فجرت أوصاف الحبيب ، فنهض قلق الشوق يضرب بطون الرواحل لينهر السهر فلا وجه لنوم القوم .

وما تلوّم جسمى عن لقائكمو   إلا وقلبى إليكم شائق عجل

وكيف يقعد مشتاق يحركه إليكم الحافزان : الشوق والأمل
فإن نهضت فمالى غيركم وطر وإن قعدت فما لى غيركم شغل
وكم تعرّض لى الأقوام بعدكمو يستأذنون على قلبي، فما وصلوا

● قاموا فى الجد وقعدت ، وسهروا فى الدجى ورقدت ، هذه طريقهم فأين السالك ؟

نام العلاء بن زياد عن ورده فجذب فى نومه بناصيته ، وقيل له قم إلى صلاتك .

قيل للحسن : ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوهاً ؟ قال : لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره[1] .

رحم الله أعظمًا طالما نصبت وانتصبت ، جنّ عليها الليل فلما تمكنّ وثبت . إنْ ذكرت عدله رهبت وهربت ، وإن تصورت فضله فرحت وطربت .

حسبك أن قومًا موتى تحيا بذكرهم النفوس ، وأن قومًا أحياء تقسو برؤيتهم القلوب سلام الله على تلك القبور .. ورضوان الله حشو تلك اللحود .

أماكن تعبدهم باكية .. مواطن خلواتهم وتهجدهم لفقدهم شاكية ، زال التعب وبقى الأجر ، وذهب ليل النصب وطلع الفجر .. إنما يلذ الظل البارد لمنْ تأذّى بحر الهجير ويطيب مكان الإستراحة بإجراء حديث التعب .

إخوتى :

إذا جن الليل فسيروا فى بوادى الدجى ، وأنيخوا بوادى الذل ، واجلسوا فى كسر الإنكسار ، فإذا فتح الباب للواصلين ، دونكم فاهجموا هجوم الكذّابين ، وابسطوا كف « وتصدق علينا » لعل هاتف القبول يقول « لا تثريب عليكم اليوم » .

---

(١) المدهش ص ٥٤٧ .

قلبى يحبك ما يعيش وجفن عينى ما ينام
قد طال فيك الليل حتى ما يقال له انصرام
والنجم فيه راكد والفجر يمنعه الظلام
لليل بغير نهاية ولكل مفتاح ختام
فى حبك العيش الهنىّ وبعدك الموت الزؤامْ

خذ حديث القوم جملة :

أملهم أقصر من فترة نومهم أعز من الوفاء ، السهر عندهم أحلى من رقدة الفجر ، أخبارهم أرق من نسيم السحر ، أماقهم بالدموع دامية .

- خذ حديث القوم جملة ، واقنع بالعنوان : ناموا فى الدجى على مهاد القلق ، فلماّ جنّ الليل جن الحذر .
- فاستيقظت عين ما تهنأت بطعم الرقاد .

كفى سائقاً بالشوق بين الأضالع لهيب اشتياق ثم فيض مدامع

هذا يعاتب نفسه على التقصير ، وهذا يتفكر فى هول المصير ، وهذا يخاف من ناقد بصير ، كلهم قد بات بليل النابغة ، لسان حالهم يقول : ليت شعرى ما الذى أسقطنى من عينك ياإلهى ؟ أقلت هذا فراق بينى وبينك .

أعف عنى وأقلنى عثرتى يا عتادى للمّات الزمن
لا تعاقبنى فقد عاقبنى ندم أقلق روحى فى البدن

مجالسهم شراب المحبين وترياق المذنبين ، قد علم كل أناس مشربهم ، مجالسهم مجالس الأحزان ، فهذا يبكى لذنوبه ، وهذا يندب لعيوبه ، وهذا يتأسف على فوات مطلوبه .

كأنى أرى الخلع قد خلعت على المتهجدين ، كأنى أرى الملائكة تصافح التائبين ، فتعالوا نجتمع نبكى على المطرودين .

ما زلت دهر للقا متعرضًا ولطالما قد كنت عنا معرضا
جانبتنا دهرًا فلما لم تجد عوضًا سوانا صرت تبكى محرضا
واحسرتاه عليك من متقلب حق الوبال عليه من سوء القضا
لو كنت من أحبابنا للزمتنا فكسيت من إحساننا خلع الرضا
لكن غمضت حقوقنا وتركتنا فلذاك ضاق عليك متسع القضا

– قتيل الشوق يتعلق بما يرى ، ويتشبث بما يسمع ، يرتاح إلى السهر ومقصوده غيره .

أحــنّ بأطراف النهار صبابة وفى الليل يدعونى الهوى فأجيب
وأيامنا تفنى وشوقى زائد كأنّ زمان الشوق ليس يغيب

● ويقول الآخر :

تحمل أصحابى ولم يجدوا وجدى وللناس أشجان ولى شجن وحدى

● إنْ خرجت يومًا عن هواك فعرّج بواديهم هناك تجد نعتهم : « بعينى ما يتحمل المتحملون » .

هذا رقيب ليس عنى غافل يحصى علىّ ولو غفلت ذنوبى
أوليس من جهل بأنى نائم نوم السفيه وما ينام رقيبى

● يا بعيدًا عن المجاهدة : قد اقتسم الرعيل الأول النفل .. يا من انحرف عن جادتهم استمع إلى :

إذا صب فى القنديل ماء ، ثم صب عليه زيت ، صعد الزيت فوق الماء ، فيقول الماء : أنا ربيت شجرتك فأين الأدب ؟ لم ترتفع علىّ ؟ فيقول الزيت : أنت فى رضراض الأنهار تجرى على طريق السلامة ، وأنا صبرت على العصر ، وطحن الرحا ، وبالصبر يرتفع القدر ، فيقول الماء : إلا أنى أنا الأصل فيقول الزيت : استر عيبك فإنك لو قارنت المصباح انطفى .

أخي :

احضر نادى المتهجدين ونادهم : طوبى لكم ، وجدتم قلوبكم فارحموا من لا يجد .

إذا وصلتم إلى وادى العقيق سلوا عن حال منقطع أودى به السهر
وفتشوا عن فؤاد هائم قلق قد ضاع منى فلا عين ولا أثر

● تشبه بالصالحين تُعَدّ فى الجملة .. لو سرت فى حزب المتهجدين خطوات لعرفوا لك حق الصحبة . يا مَنْ كان لهم رفيقاً فأصبح لايعرف لهم طريقا ، أطلب اليوم أخبارهم واتبع فى السلوك آثارهم ، فإن وقعت ببعضهم ، حملك إلى أرضهم .

نسيمهم سحيرى الريح فما تشبهـُه روايح الأصائل

● أين أنت والأحباب .. كم بين القشور واللباب ؟ .

هل مدلج عنده من مبكر خبر وكيف يعلم حال الرائح الغادى

● مضى والله أهل المعانى وتخلفّ أرباب الدعاوى .

هاتيك ربوعهم وفيها كانوا بانوا عنها فليتهم ما بانوا
ناديت وفى حشاشتى نيران يا دار متى تحوّل السكّان ؟

أين رجال الليل .. أين ابن أدهم والفضيل .. ذهب الأبطال وبقى كل بطّال لئن طواهم الفناء ، لقد نشرهم الثناء ، أين الأرض من صهوة السماء ، لا أنت والله منهم ، ولا تدرى من هم .

يا قلب ما أنت من نجد وساكنه خلّفتَ نجد وراء المدلج السارى
بانوا وخُلّفتُ أبكى فى ديارهم قل للديار سقاك الرائح الغادى
وقل لأظعانهم حيّيت من ظعن وقل لواديهم حُيّيت من وادى

● رحل ركب المحبة فى ظلام الدجى ، فصبحّ القوم المنزل ، ونحن على غير الطريق وآأسفا من قلة الأسف ، واحزناه من عدم الحزن ، قفوا على آثار السالكين ، فاندبوا المنقطع ، ليست بأطلالى ولكنها رسوم أحبابى :

يا ديار الظاعنين أين سكانك ، يامرابع الأحباب أين قطّانك ، يا موطن الألباب ويا جواهر الآداب أين خزانك .. وآأسف المتقاعد عنهم .. ، واحسرة البعيد منهم .

قف بالديار فهذه آثارهم   تبكى الأحبة حسرة وتشوّقا
كم قد وقفت بها أسائل مخبرًا   عن أهلها أوصادقًا أو مشفقا
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها   فارقت من تهوى فعزّ الملتقى

يا متخلفًا جاء مع المعتذرين ، رحل الركب فى زمان رقادك .

إذا جُزت بالغَوْر عرّج يمينًا   فقد أخذ الشوق منا يمينا
وسلّم على بانة الواديين   فإنْ سمعتْ أوشكت أن تبينا
فصح فى مغانيهم : أين هم   وهيهات أمّوا طريقًا شطونا
وروّ ثرى أرضهم بالدموع   وخلّ الضلوع على ما طوينا
أراك يشوقك وادى الأراكِ   أللدار تبكى أم الساكنينا
سقى الله من بعننا بالحمى   وإنْ كان أورث داءً دفينا[1]

● فرّغ القوم قلوبهم من الشواغل فضربت فيها سرادقات المحبة ، فأقاموا العيون تحرس تارة وترش أخرى ، هيهات ، هان سهر الحرّاس لما علموا أن أصواتهم بسمع الملك .. قلوبهم مملوءة بذكر الحبيب ، ليس فيها لغيره سعة ،

قد صيغ قلبى على مقدار حبهم   فما لحب سواهم فيه متسع

إن نطقوا فبذكره ، وإن تحركوا فبأمره ، وإن سهروا فلقربه .

---

(١) اللطف فى الوعظ لابن الجوزى ص ٧٨ ، ٧٩ .

والله ما طلعت شمس ولا غربت   إلا وحبك مقرون بأنفاسى
ولا جلست إلا قوم أحدثهم   إلا وأنت حديثى بين جلاسى
وشغلت عن فهم الحديث سوى   ما كانَ عَنك فإنه شغلى
وأديم نحو محدثى وجهى ليرى   أنْ قدْ عقلت وعندكم عقلى

● كرب المحب بالنهار يشتد بمزاحمة رقباء المخالطة ، فإذا هبّت نسائم الأسحار وجدت روحه روْحًا يصل من قصْر المنى إلى أرض كنعان الأمل .

وقد أنبأتهم مياه الجفون   بأن بقلبك داءً دفينا[1]

فإذا أردت أن تعرف أحوالهم ، فاسمع حديث النَّفْس من النَّفَسِ :

خذى حديثك فى نفسى من النَّفَسِ   وجْدُ المشوق المُعَنَّى غير ملتبس
الماء فى ناظرى ، والنار فى كبدى   إن شئت فاغترفى أو شئت فاقتبس

أخى :

نهار الحزين كالليل ، وليل المطرود كالنهار .

● قلّ غرس خلوة إلاَّ وعليها ثمرة الأنس .

أمَا لك أيها القلب اعتبار   بما فعل الهوى بالقانتينا
بنفسى مَنْ غداة نأيت عنهم   تركت القلب عندهم رهينا

ملأوا مراكب القلوب متاعًا ، لا ينفق إلا على الملك ، فلما هبّت رياح الدجى دفعت المراكب .

يا سوق الأكل أين أرباب الصوم؟؟... يا فرش النوم ... أين رعاة النجوم ؟ أين حرّاس الظلام ؟... درست والله المعالم ووقعت الخيام .

أين مكانك لا أين هم ؟..   أحجازًا سلكوها أم شئاما
قد وقفنا بعدهم فى ربعهم   فهبناه استلامًا والتزاما

(١) اللطف فى الوعظ ص ٧١ ، ٧٢ .

أَتُرَى أى طريق سلكوا ... أترى أى شعب أخذوا[1] .

أخى : ويحك . اعرف ما ضاع منك ، وابكِ بكاء مَنْ يدرى قيمة الفائت .

بِعْت قيام الليل بفضل لقمة ، شربت كأس النعاس ففاتك الرفقة ، والله لو بِعْت لحظة من تهجد بعمر نوح فى ملك قارون لغبنت وما ربحت ، ومن ذاق عرف .

وقولوا لجيران على الخيف من منى ... تراكم من استبدلتمو بجواريا
ومن ورد الماء الذى كنت واردًا ... به ورعى العشب الذى كنت راعيا
فـوالهفـى كم لى على الخيف شهقة ... تذوب عليها قطعة من فؤاديا
فيا جبل الريّان إن تعر منهم ... فإنى سأكسوك الدموع الجواريا

● قال على بن بكار : منذ أربعين سنة ما أحزننى إلا طلوع الفجر .

هان عليهم طول الطريق لعلمهم أين المقصد ، وَحَلَتْ لهم مرارات البلا حُباً لعواقب السلامة ، فيا بشراهم يوم « هذا يومكم »

وركب سروا والليل ملق رواقه ... على كل مغبرّ الطوالع قاتم
حدوا عزمات ضاقت الأرض بينها ... فصار سراهم فى ظهور العزائم
تريهم نجوم الليل ما يبتغونه ... على عاتق الشعرى وهام النعائم
إذا اطردوا فى معرك الجد قصفوا ... رماح العطايا فى صدور المكارم

● لو وقفت على جادة التهجد ليلة لرأيت ركب الأحباب ، لو سرت فى أعراض القوم لحرّك قلبك صوت الحداة .

● كانت عابدة تقوم من أول الليل وتقول : تشاغل الناس بلذّاتهم وقد جئت إليك يا محبوب .

---

(١) المدهش ص ١٥٣ .

أخي :

إذا جاء الليل تغالب النوم والسهر ، والخوف والشوق فى مقدم عسكر اليقظة ، والكسل والتوانى فى كتيبة الغفلة .

● سفر الليل لا يطيقه إلا مضمر المجاعة النجائب فى الأول وحاملات الزاد فى الأخير .

● لما امتلأت أسماع المتهجدين بمعاتبة «كذب من ادّعى محبتى فإذا جنّه الليل نام عنى» حلفت أجفانهم على جفاء النوم .

إن كان رضاكم فى سهرى فسلام الله على وسنى

● مازالت مطايا السهر تذرع فى بيد الدجى ، وعيون آمالها لا ترى إلا المنزل وحادى العزم يقول فى إنشاده : «يا رجال الليل جدوا» إلى أنْ نمَّ النسيم بالفجر ، فقام الصارخ ينعى الظلام ، فلما همّ الليل بالرحيل تشبثوا بذيل السحر .

فاستوقف العيس لى فإن على خَلب فؤادى تشد أرحلها
إنْ دثرت دارها فما دثرت منازل فى القلوب تنزلها

أخي :

وربك لو أبصرت يومًا تتابعت عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا
لأبصرت قومًا جانبوا النوم وارتدوا بأردية التسهاد واستقربوا البعدا
وصاموا نهارًا دائمًا ثم أفطروا على بلغ الأقوات واستعملوا الكدا
أولئك قوم حَسَّن الله فعلهم وأورثهم من حسن فعلهم الخلدا[1]

رجال سبقوا على خيل ضمر وأتعبوا من خلفهم .. رجال ليلهم قيام .

(١) بستان الواعظين لأبى الجوزى ص ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

سَقوا كأس المحبة فاطمأنت قلوبهم وهيّجها اليقين
إلى ملك تحنّ إليه شوقاً وليس لها إلى أحد حنين
يميل بهم هبوب القرب ميلاً كما مالت مع الريح الغصون

رجال كحلوا أعينهم بالسهر ، وشغلوا خواطرهم بالفكر ، وأشغلوا قلوبهم بالعبر نازلهم الخوف فصاروا والهين ، وجنّ عليهم الليل فرآهم ساهرين ، وهبّت رياح الأسحار فمالوا مستغفرين ، فإذا رجعوا وقت الفجر بالأجر نادى منادى الهجر : يا خيبة النائمين .

جُليت أوصاف الحبيب فى حلية الكمال فقاموا على أقدام الشوق ، يضحك الناس ويبكون ، وينامون وهم يسهرون .

هذه طريقهم فأين السالك ، هذه صفاتهم فأين الطالب :

لله قوم أخلصوا فى حبه فاختصّهم ورضى بهم خُدّاما
قوم إذا هجم الظلام عليهم قاموا فكانوا سجّداً وقياما
يتلذذون بذكره فى ليلهم ونهارهم لا يفترون صياما
فسيفرحون بورد حوض محمد وسيسكنون من الجنان خياما[1]
فسيغنمون عرائساً بعرائس ويُبوأون من الجنان خياما
وتقرّ أعينهم بما أخفى لهم وسيسمعون من الجليل سلاما

● كان القوم زينة الدنيا فَمُذْ سلبوا تسلبت ، خلت والله الديار ، وباد القوم وارتحل أرباب السهر ، وبقى أهل النوم ، واستبدل الزمان آكلى الشهوات بأهل الصوم .

كفى حزناً بالواله الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة قفرا

سل الليل عنهم فعنده الخبر ، أتدرى كيف مرّ عليهم ، أبلغك ما جرى لهم . « أيعلم سال كيف بات المتيم » .

(١) بستان الواعظين ص ٣٧٨ .

قال سفيان الثورى : بت عند الحجاج بن الفرافصة إحدى عشرة ليلة فما أكل وما شرب وما نام[1] .

طال الدجى على الأبدان وقصر على القلوب .

لو رأيت رواحل الأبدان قد أضناها طول السهر وأنضاها ، فلما هبّت نجدية السحر ، مّدت أعناق الشوق فزال كل الكلال

وأقسَمْنَ يحملْنَ إلاّ نحيلا إليه ويُبْلغن الاحزينا
ولما استمعن زفير المشوق ونوح الحمام تركن الحنينا

سجع :

اكتفوا من الليل بيسير النوم ... واشتغلوا بالصلاة والصوم ، كانت والله همم القوم فى صلاح قلوبهم ﴿ **يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم** ﴾ .

● لبسوا ثياب السفر ، وارتحلوا على أوكار السهر ، فلو سمعت وقت السّحر ترنم طروبُهم ﴿ **يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم** ﴾ .

● أما الليل فسهارى ، وأما النهار فأسارى ، وكأنهم بالمحبة سُكارى فى شروقهم وغروبهم ﴿ **يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم** ﴾ .

● لو أصغيت فى الدجى واستمعت ، وأحضرت قلبك عندهم وجَمَعْت ، وهيهات ليتك اطلعت على بعض كروبهم ﴿ **يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم** ﴾ .

● قال الفضيل بن عياض : يقول الله عز وجل : « **كذب من ادّعى محبتى فإذا جنه الليل نام عنى ، أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه** . ها أنا مّطلع على **أحبائى إذا جنّهم الليل جعلت أبصارهم فى قلوبهم ، ومثلت نفسى بين أعينهم . فخاطبونى على المشاهدة ، وكلّمونى على حضورى ، غداً أقر عين أحبائى فى جناتى** » .

---

(١) المدهش ص ٣٥١ .

الـليـل لى ولأحبابهم أسامرهم قد اصطفيتهم كى يسمعوا ويعو

ولله در القائل :

تـنـام عـينـاك وتشكـو الهوى لو كُنْت صبّا لم تكن نائما

أخى :

اشتهر بقيام الليل كله : سعيد بن المسيب ، وصفوان بن سليم ، ومحمد بن المنكدر المدنيون ، وفضيل ووهب المكيان ، وطاووس ووهب اليمانيان ، والربيع ابن خثيم والحكم الكوفيان ، ويزيد الرقاشي وحبيب العجمى ، ويحيى البكاء ، وكهمس ورابعة البصريون ... ولله در القائل :

« إن عجائب القرآن أطرن نومى » من لم يكن له مثل تقواهم ، لم يعلم **ما الذى أضناهم وأبكاهم ، منْ لم يشاهد جمال يوسف لم يعلم ما الذى آلم قلب يعقوب .**

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يـدر كـيف تفتت الأكباد

ولله در القائل :

ويا صاحبى أين وجه الصباح وأيـن غـد صـف لـعينى غدا
وخـــلف الضـلـوع زفير أبىَ وقـد بـرد إلـليـل أن يبردا

ولله.در القائل :

لا تلمـه إن كنت من سجرائه عـذل المحب يـزيد فى إغرائه
ودع الهوى يقضى عليه بحكمه مـا شـاء فـهـو مسلم لقضائه
فشـقـاؤه فيما يـراه نـعـيمـه ونـعـيمه فى ذاك عين شقائه
كـحلت مآقيه بطول سهاده وحنت أضالعه على بـرحائه
دنـف ببابـل جسمه وفؤاده بـالخيف واعـجبًا لطول بقائه

● « **رجال مدرسة الليل** » :

إذا انتصف الليل فى القرون الأولى كانت أصوات المؤذنين ترتفع وتنادى :

يـا رجـال الـلـيـل جـدّوا   رب صـوت لا يـــــرد
مـا يـقـوم الـلـيـل إلا   مَنْ له عـــزم وجـــد

وإنها حقًا مدرسة ، فيها وحدها يستطيع رجالها أن يزكوا شعلة حماستهم ، وينشروا النور فى الأرجاء التى لفتها ظلمات الجاهلية .

يا نفس فاز الصالحون بالتقى   وأبصروا الحق وقلبى قد عمى
يا حسنهم والليل قد أجنهم   ونـورهـم يـفـوق نـور الأنجم
تـرنموا بـالـذكـر فى لـيـلـهـم   فـعيشهـم قـد طـاب بـالترنم
قلوبهم لـلـذكـر قـد تـفرغت   دمـوعـهـم كـلـؤلـؤ مـنـظـم
أسحارهم بهم لهم قد أشرقت   وخُلَعُ الـغـفـران خيرُ المقسم

وإنها تجربة إقبال يوجزها فيقول :

نـائح والـلـيـل ساج سادل   يهجع الـنـاس ودمعى هاطل
تصـــطلى روحى بحزن وألم   ورد « ... يا قيوم » أنسى فى الظلم
أنـا كـالشـمـع دموعى غسلى   فى ظلام الـلـيـل أذكى شعلى

● دواء القوم نسيم الأسحار يذكرهم بالجنة :

يذكرنى مر النسيم عـهودكم   فأزداد شوقًا كلما هبّت الريح
أرانى إذا ما أظلم الليل أشرقت   بقلبى من نار الغرام مصابيح
أصلى بذكراكم إذا كنت خاليًا   ألا إن تـذكـار الأحبة تسبيح

أخـــى

صلاتك نـور والـعـبـاد رقـود   ونـومك ضـد الصلاة عـنـيـد
وعمرك غنم إن علقت ومهلة   يسير، ويفنى دائـمًا ويـبـيـد

● تعلّقْ بالليل فهو شافع مشفّع ، تمسّكْ بالبكاء فهو رفيق صالح ، ادخل فى زمرة المتهجدين على وجه التطفل ، فى فلوات الخلوات بلسان التذلل .

سمعت حمامة هتفت بليل وقد حنّت إلى إلف بعيد
فأزعجت القلوب وأقلقتها فما زلنا نقول لها أعيدى
أرى ماءً وبى عطش شديد ولكن لا سبيل إلى الورود

● ياجوهرة بمضيعة كم فى السموات من ملك يسبح مالهم مرتبة « تتجافى » ؟

● يا ثقيل النوم أما تنبهك المزعجات ؟ الجنة فوقك تزخرف ، والنار تحتك توقد ، والقبر إلى جنبك يُحفر ، وربما يكون الكفن قد غُزِل .. « أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم » ؟

● يا هذا إن أردت لحاق السادة ، فخلِّ مخاللة الوسادة ، وأكحل عينيك بالسهر والدمع .

● المحب إن تذكر الربع حنّ ، وإن تفكرّ فى البعد أنّ ، وإن جنّ عليه الليل أظهر ما أجنّ .

يا بريق الحىّ حرّمت المناما فانقضى الليل سهادًا وقياما
يا سقى الله حماهم مزنة حلبت أشطرها أيدى النعاما
يا غرامى إن شدت ورق وهل علمّ الورق سوى وجدى الغراما
قلقى فى حرق من أرق يرتقى بل ينتقى منى العظاما

- من صلىّ بالليل حسن وجهه بالنهار شيمة المحبة لا تخفى ، وصحائف الوجوه يقرؤها من لم يكتب « خذى حديثك عن نفْسى من النَّفَسِ » .

أترى حبكم لما سرى أخذ النوم وأعطى السهرا
حبذا فيك حديث باطن فطن الدمع به فانتشرا

● يا هذا كيف تطيق السهر مع الشبع ؟ كيف تزاحم أهل العزائم بمناكب الكسل .

دع الهوى لأناس يعرفون به قد مارسوا الحب حتى لأن أصعبه
بلوت نفسك فيما لست تخبره والشيء صعب على من لا يجرّبه

● يا طويل النوم فاتتك مدحة « تتجافى » وحرمت منحة « والمستغفرين » ولست من أهل عتاب « فإذا جنّه الليل نام عنى » .

● إذا جنّ الغاسق حنّ العاشق .

لو أنك أبصرت أهل الهوى إذا غابت الأنجم الطلّع
فهذا ينوح على ذنبه وهذا يصلى وذا يركع

● يا من كان له وقت مع الله فذهب .. يا من كان له قلب فانقلب .

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا
وأقسمتم أن لا تحولوا عن الهوى فقد وحياة الرب حلتم وما حلنا
ليالى كنا نجتنى من ثماركم فقلبى إلى تلك الليالى لقد حنّا

● كان أبو بكر لقصر أمله يوتر أول الليل ، وعمر لتأميل الخدمة يؤخره إلى آخر الليل ، وعثمان يتهجد فى آناء الليل ، وعلى يستغفر فى آخر الليل .

● قام القوم على أقدام ﴿ **قم الليل** ﴾ فبان فى القوم سر ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾، لولا قيام تلك الأقدام ما كان يؤدى حق « **هل من سائل** » .

● يا غافلين عما نالوا لقد ملتم عن التقى وما مالوا ، قاموا فى غفلات الراقدين فقوبلوا بجزاء لم يطلع عليه الغيرُ غيرةً لهم .،

– ما أطيب أملهم فى المناجاة ، ما أقربهم من طريق النجاة ، ما أقل ما تعبوا ، وما أيسر ما نصبوا ، وما كان إلا القليل ثم نالوا ما طلبوا .

● اسمع معى إلى طبيب القلوب ووارث من ورثة الأنبياء أبى على الفضيل بن عياض ينصح حين طرقوا بابه فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى والدموع تتقاطر من وجهه ولحيته ، وهو يضطرب فقال لهم ما بالكم ؟ فقالوا : عظنا

يا أبا على ، فقال «عليكم بالقرآن ... عليكم بالسنة ... عليكم بالصلاة ... احفظ لسانك ، واخف مكانك ، وعالج بالليل »[1] .

● اخف مكانك ـ فبدر التمام يستدير ، لا يتربع ولا يتطاول ، تمدحه الشعراء وتمتلىء دواوينهم بوصف بهائه وهو صامت ساكن ، إنه لن يغفل عن روعته أحد ... أما ذو العيب الناقص المفضوح بفتوق لا رتق لها ، يحتاج الدعاية فهو كالقمر حين يخسف يخرج عن سكينته وصمته ويحتاج لضجيج الطبول ، ومدائح الأطفال ، ويستجيش حماس العجائز ، يهيب بهن أن ينكرن على حوت ابتلعه واعتدى على حقه وجماله .. التمام يا أخى[1]

سجع وشعر
عن
المتهجـــدين[2]

لوذاق الغافل شارب أنسهم فى الظلام ،

أوْ سمع الجاهل صوت حنينهم فى القيام ،

وقد نصبوا لما انتصبوا له الأقدام ، وترنموا بأشرف الذكر وأحلى الكلام ، وضربوا على شواطىء أنهار الصدق الخيام ، وركزوا على باب اليقين بالحق الأعلام ، وزمّوا مطايا الشوق إلى دار السلام ، وصارت جنود حبهم والناس فى الغفلة نيام ، ووجدوا من لذة الليل ما لا يخطر على الأوهام ، نورهم يخجل شمس الضحى ويذرى بدر التمام فلأجلهم تنبت الأرض ومن جرّاهم يجرى الغمام ، وبهم يسامح الخطائون ويُصفح عن أهل الإجرام فإذا نازلهم الموت طاب لهم كأس الحمام ، وإذا دفنوا فى الأرض فخرت بحفظها تلك العظام .

---

(١) العوائق ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) التبصرة ٢/٣٢٤ ـ ٣٢٦ .

تتجافى جنوبهم

تـتـجـافى جـنـوبهم عن لـذيـذ المضـاجـع
كـلـهّـم بين خـائفٍ مسـتـجير وطـامـع
تـركـوا لـذة الـكـرى لـلـعـيون الهواجـع
ورعوا أنجم الـدجى طـالـعًا بـعـد طـالـع
واستهـلّت دموعـهـم بـانصـاب المدامـع
فـأجـيـبوا إجـابـة لم تـقـع فى المسـامـع
لـيس مـا تـفـعـلونـه أولـيـائى بضـائـع
تـاجـرونى بـطـاعتى تـربحوا فى الـبضـائـع
واوهـبوا لى نـفـوسـكـم إنها من ودائـعـى

سجع على قوله تعالى ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ :

● لو رأيتهم بين ساجد وراكع ، وذليل مخمول متواضع ، منكسر الطرف من الخوف خاشع ، فإذا جن الليل حنّ الجازعْ ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ .

● نفوسهم بالمحبة علقتْ ، وقلوبهم بالأشواق فُلقتْ ، وأبدانهم للخدمة خلقت ، يقومون إذا انطبقت أجفان الهاجع ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ .

● سبق والله القوم ، بكثرة الصلاة والصوم ، فإذا أقبل الليل حاربوا النوم والعزم فى الطوالع ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ .

● ينادى منادى تائبهم لا أعود ، والمنعم ينعم بالقبول ويجود ، هم والله من الكون المقصود ، فما حيلة المطرود والمعطى مانع ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ .

• كُنْ يا هذا رفيقهم ..، ولُجْ وإن شقّ مضيقهم ، واسلك ولوْ يومًا طريقهم ، فالطريق واسع ، ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ .

• اهجر بالنهار طيب الطعام ، ودَعْ فى الدجى لذيذ المنام ، ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام** ﴾ فما يُقْعِد السامع ؟ ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ .

• الصدق الصدق به تسلم ، الجدّ الجدّ به تغنم . البدار البدار قبل أن تندم ، هذا هو الدواء النافع ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ .

النفحة القدسية والتحفة الأنِسّية :

منظومة الشيخ أحمد بن عبد القادر الحِفْظىّ .

هذه القصيدة مما كان متداولاً فى الحجاز وعسير ونجد واليمن ، وقد وزّعت مع غيرها بشكل واسع فى الحجاز بمشورة العالمين الجليلين : العلامة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ ، والعلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع

فتحُ نظمى ومقالى حمدُ ربِّ العالمينا
وصلاةُ الله تتالى تبلغُ الهادى الأمينا
وعلى صحب وآل وجميع التابعينا
ما بدا نُورُ الوصالِ فى وجوه الساجدينا
فاز من قام الليالى بصلاةِ الخاشعينا
أيُّها الناسُ استجيبُوا إن دُعيتُم للحياة
واستقيموا وأنيبوا قبل تعجيل المَمات
إنه وعدٌ قريبٌ عن قليلٍ سوف يأتى
فأعدُّوا للرِّحالِ وارحلوا حينًا فحينا
فاز من قام الليالى بصلاة الخاشعينا
أيها الإنسانُ خبِّر ما الذى غرَّك بالله

واستمع قول المذكرِّ للذى قد فاق رُسُله
يا مُدثر قم فأنذر ثُم طهر كُل شمله
ثم صل تصل معالى قاب قوسين يقينا
فاز من قام الليالى بصلاةِ الخاشعينا

ثم ناداهُ جهارًا لا تزمل بالبجاد[(١)]
وقم الليل اصطبارًا وتزود للمعاد
واقترب واسجد مرارًا واجتنب طول الرقاد
فظلامُ الليل جالى لوُجوه القائمينا
فاز من قام الليالى بصلاة الخاشعينا

قُم لنا ليلاً طويلاً هكذا أوحى إليه
كُلهُ ﴿إلا قليلا نصفه ـ أو زد عليه﴾
إنهُ ﴿أقومُ قيلا﴾ حجة بين يديه
قام بالسُّور الطوال واستقام بها سنينا
فاز من قام الليالى بصلاة الخاشعينا

عائشة قالت كثيرًا لا تكلف وأنت ناج
وبكت دمعًا غزيرًا للمُناجى فى الدياجى
قال شُكرًا يا حميرا[(٢)] ليس هذا بالعلاج
راحتى فيما أضالى[(٣)] من شهود الشاهدينا
فاز من قام الليالى بصلاة الخاشعينا
قام فى الليل وتاها فى جلال الله سارى
واشتكت أقدام طه[(٤)] ورما بالانفطارِ

---

(١) غطاء من الثياب .

(٢) تصغير حمراء وهو لقب للسيدة عائشة ولكن قال المحدثون كل حديث فيه ياحميراء فهو ضعيف .

(٣) ضاء لى .

(٤) يس اسم طه إسما من أسماء الرسول ﷺ .

وأقـر مـنـه مـاتيسر ومن الـلـيـل تهجد
تـارةً بـالسر واجـهـر تـارةً يـا أيُّـهـا الـعـبـد
وهـو لـلـسـاعـات قـدر لست تُحصى الليل بالعد
تـوبـــةً من ذى الـنوال رحـمـة بـالمؤمـنـيـنـا
فـاز من قـام الـلـيـالى بصلاةِ الخاشـعـيـنـا
وبسوق الليل فاجلب واتجر فـيـه ومـاكس
ولخير الـزاد فـاطـلب ومع الـعـطار جالس
ولحزب النفس فاغلب ولأهـل الـعـلم نـافس
والخســارةُ فى المطـــال والـتوالى تـسـتـبـيـنـا
فـاز من قـام الـلـيـالى بصلاة الخاشـعـيـنـا
كـدكـد الـنفس احتمالاً ولها حـمِّـل وكـلِّف
عـامـل الله فـعـالاً لا تـعدهُ ثُم تُخلف
وابـذُل النقدين حالاً لا تُؤجـل أو تسوف
من شرى كـالى بـكـالى قد يُـدان كما يـديـنـا
فـاز من قـام الـلـيـالى بصلاة الخاشـعـيـنـا
واحضر الأسحار واجعل قـرَّهـا لـلـعـينُ قـرهُ
وعن الأكـوان فـارحل إن عـنـد الله حضره
دار فيها الكأس فاعجل فعسى تحظى بـقـطـره
لا تجلـل بـالجلال والأجلا جـائـلـيـنـا
فـأتـاهُ الوحىُ : طـه كـيف يشقى فى جوارى
سـاعـةً فـارقُـد وتـالى سـاعـةً فـاسـجـد وحينا
فـاز من قـام الـلـيـالى بصلاة الخاشـعـيـنـا
فـاز من قـام الـلـيـالى بصلاة الخاشـعـيـنـا
لـو تـكُن أدنى النصيب منهُ فى الأسبوع مره

وإليّ هـذا الـكـئيب سفرة من بعد سفره
بـــبُـــكـــاء ونحيب واســتــكــانــات وزفــره
فــأدِمْ جــرَّ الــحِــبــالِ تــقــطــع الصـخـر الثخينا
فــاز من قــام الــلــيــالى بصلاة الخاشــعــيــنــا

قُــم حبيبى قُم حبيبى قُــم فإن الليل راحا
والــثُّــريــا لــلــمــغــيب قد دنت والديكُ صاحا
والمطــايــا بــالــنــجــيب قد سرت والصُبحُ لاحا
والــكســالى فى عــقــال أصــبــحوا مُــتــخــبــطــيــنــا
فــاز من قــام الــلــيــالى بصلاة الخاشــعــيــنــا

عــقــد الشيطانُ عقدًا ثُــم فى الآذان بــالا
ثُــم قــال ارقُــد وشدا فــعــلــيك الــلــيــلُ طالا
فــاغــســل الماعون عــدا من ولوغ الكلب حالاً
ثُــم أطــلــق لــلــشــكــال أطــلــق الله اليمــيــنــا
فــاز من قــام الــلــيــالى بصلاة الخاشــعــيــنــا

لا يكونُ الديكُ أكيس مــنــك واسمع لــلــصــبــاح
وعــن المعى تحسسِ فــهُــو فى صــفــق الجناح
وادخُل الوادى المقدس وأجب داع الــفــلاح
واسْــعَ واخــلــع لــلــنــعــال واقــتــبس نُورًا مــبــيــنــا
فــاز من قــام الــلــيــالى بصلاة الخاشــعــيــنــا

من سرى بالليل يحمد لــلــسُّــرى عند الصباح
ويــنــالُ الجد من جد ويُــداوى لــلــجــراح
فــاستعن بالله واجــهــد فى غُــدُوٍّ ورواح
إن أهــل الاشــتــغــال هــكــذا والــمُــدلجيــنــا
فــاز من قــام الــلــيــالى بصلاةِ الخاشــعــيــنــا

ويـــــكونُ الملح حـــــالى من كؤوس الشــاربــيـنـا

فـــاز من قــام الـلـيـالى بصلاة الخاشـــعـــيـــنـــا

ونـعـيـمُ الأُنس بـالله جـنـة الـفردوس يُنسِي

وسميــرٌ مــا أجــلـــه عــنـدهُ قُـدسى وأُنسى

ومــنـــاجــاة لمن لــه سـجـدا عـرش وكُرسى

وهـو وقت الاتصــــــال موسـمُ الـمُسـتـغـفـريـنـا

فـــاز من قــام الـلـيـالى بصلاة الخاشـــعـــيـــنـــا

وإذا مـا شـئـت قدم فـعـلـه قـبـل المنـام

وبـفـعـل الوتـر فاختم فهوُ من حُسن الختام

وإذا استيقظت فاحُكم بـالإعــادة لـلـقـيـام

عَـــســل وانهل من زُلال وردِ الماء المعـــيـــنـــا

فـــاز من قــام الـلـيـالى بصلاة الخاشـــعـــيـــنـــا

وعلى هـــذا الأجلا من شُيوخ العصر الأول

كـأبى بـكـر المولى وأبى السنور[1] عول

كـلـهـم قـام وصلى أول الـلـيل وعـجـل

واخـتلاف فى الـفـعـال حسبُ حـال الـفـاعـلـيـنـا

فـــاز من قــام الـلـيـالى بصلاة الخاشـــعـــيـــنـــا

إنما قـالوا التهـجُـد فـيـه أسرار عـجـيـبـة

فى فُؤاد الـمُـتـعـبـد طـعـمُ أذواق غـريـبـة

وإذا طـال الـتسـجُـد هـبت الريحُ الرطيبة

وأذانـــــــــًا من بلالٍ أدخـلـوهـا آمـنـيـنـا

فـــاز من قــام الـلـيـالى بصلاة الخاشـــعـــيـــنـــا

فـالـهُ الـمُختار جهرًا فى حديث الاستطاعة

(١) أى الصحابى الجليل صخر بن دوس « أبو هريرة » .

فـتـقـرب مـنـهُ شبرًا لتری مـنــه ذراعـــه
والـقـلـيـلُ من امـتـثـالٍ يـســتـجـرُّ الأكثريـنـا
فـاز من قـام الـلـيـالى بصلاة الخاشـعـيـنـا
وأقر فيه قل هو الله مرة من بـعـد أخرى
وكـذا يس كـلـه تـعـدل الـقـرآن عشرا
آية الـكـرسى فـاتـلُـه وثلاث الحشر فـاقـرأ
واسر فى سُود الـلـيـالى وتحرك مُسـتـعـيـنـا
فـاز من قـام الـلـيـالى بصلاة الخاشـعـيـنـا
ركـعـتـان أقـل وردٍ حسْب الـطـاقـة فـالـزم
كـل شـخـص قـدر جهد وأحب الشيء أدوم
واقضـه إن لم تـؤد وبهذا الحزب فـاهـتم
والـلـيـالى كـالجمال والسراة الـراكـبـيـنـا
فـاز من قـام الـلـيـالى بصلاة الخاشـعـيـنـا
لـو تـرى حال الصحابه وبنى الـزهـرا الأئمة
ظـلـمـة الليل مثابه لهم والأنس ثمة
لازموا بـالـصـدق بـابـه فى مـنـاجـاة مـهـمـة
كـالإمـام أبى الـرجـال انـزع الوجـه البطينا[1]
فـاز من قـام الـلـيـالى بصلاة الخاشـعـيـنـا
وعلى بن الحسين كـل لـيـلـة ألـف ركعة[2]
مسـبلاً من كـل عين دمعة من بعد دمعه
وهـو بين الجنـتـين فى النعيم بـكـل هجعه

(١) الأنزع والبطين من صفات أمير المؤمنين على رضى الله عنه ونصبا على المدح.

(٢) إن هذا العدد من الركعات من المستحيل ولكن الناس غفلوا عن الممكن والمستحيل والممنوع شرعا والله أعلم.

وعلى هــــذا المثـــــال ... كـان زيـن الـعـابـديـنـا
فـاز من قـام الـلـيـالى ... بصلاة الخاشـعـيـنـا
ثم ذو الـنورين صلى ... ركـعـتين بختـمـتين
وتجلى الله جلا ... عـنـد طول السجدتين
جـامـع الـقـرآن كلا[1] ... بين تـلـك الـدفـتين
واسـتـحى السبع العوال ... مـنـه إجلالاً وديـنـا
فـاز من قـام الـلـيـالى ... بصلاة الخاشـعـيـنـا
لو تـراهـم فى الظلام ... كـالـنـخيل الباسقات
كـالملائـكـة الـكـرام ... فى محاريب الصلاة
عـنـدهـم طول القيام ... كورود الضـاحـيـات
لم يـبـالوا بـالـكلال ... لـلـذيول مشـمـريـنـا
فـاز من قـام الـلـيـالى ... بصلاة الخاشـعـيـنـا
سـجـد لله ركـع ... فى حضور وشـهـود
كـلـهـم سماه تـلـمـع ... فى الوجوه من السجود
وكـأن الـطير وقـع ... فوقهم عـنـد الورود
خـاشـعين لـذى الجلال ... راغـبين وراهـبـيـنـا
فـاز من قـام الـلـيـالى ... بصلاة الخاشـعـيـنـا
ورسول الله عشرًا ... وثلاث كـلـهـنـه
ورده شـفـعًـا ووتـرًا ... لا تسل عن طولهنه
وهو أهنى وهو أمـرًا ... يـا حـبـيى فـاشربـنـه
إن كـاسـات الوصـال ... من يـد الساقى سـقـيـنـا
فـاز من قـام الـلـيـالى ... بصلاة الخاشـعـيـنـا
وهو أتـقـانـا وأعـلـم ... وهو الـعـبـد الشـكـور
وهو فى ذاك المخيم ... مـا دجى الداجى سمير

---

(١) أى حقا.

وعـــبـــاد الله نوم　　وهو يـقـظـان سـفير
جـــــال فى ذاك المجال　　واسـتـقـر بـه قـطـيـنـا
فــاز من قــام الـلـيـالى　　بصلاة الخاشــعــيــنـــا
قال : لى وقت مع الله　　لا يسـعنى فيـه حى
ومـبـيتى عـنـد من لـه　　ســجــدا ظـل وفى
الله　الله　الله　الله　　لـيس مـثل الله شىء
طـــاح مـــيــزان الجدال　　واستراح الـبـلـه فـيـنـا
فــاز من قــام الـلـيـالى　　بصلاة الخاشــعــيــنـــا
فاسلك اليسرى وعاجل　　تسـمعن للكـون رجه
واجعـل الوقت مراحـل　　دلجة من بـعـد دلجه
زاحـم الـقـوم ونـازل　　فـعسى تحظى بـفـرجـه
واجـــتــنـب ذات الشمال　　إنما اليمنى يميــــنـــا
فــاز من قــام الـلـيـالى　　بصلاة الخاشــعــيــنـــا
والجنـيـد يقول طاحت　　كـل عـلـم وإشـارة
ورسـومـــات تلاشت　　وانمحت تـلـك الـعـباره
وركـــيـــعـــات تـوالت　　سـحـرًا فيها الـبـشـارة
ورأيـــنـــــا فى المآل　　ذلك الـكـنـز الـدفـيـنـا
فــاز من قــام الـلـيـالى　　بصلاة الخاشــعــيــنـــا
واطـلـب الـعـلم لتحيا　　وتـداوى كـل عـلـة
وتـرى بـالـعين حـيـاً　　فى الحمى يـبقون ظله
واطو حجب الكون طياً　　ثم ذرهـم وتـولـه
وتهيـــأ لـــلـــنـــزال　　وجـــهـــاد لـلـذيـنـا
فــاز من قــام الـلـيـالى　　بصلاة الخاشــعــيــنـــا

فـــإذا أتممت فـــانصب من علاء فى علاء
﴿ وإلى ربك فارغب ﴾ لازمَــــا حق الحيـــاء
لا تقـم تلهـو وتلعب واغـــتنم وقت الصـــفـاء
بـــانـكســار واخـــتـجـال من إلـــه الــعـــالميـنـا
فـــاز من قـــام الــليـــالى بصلاة الخاشـــعـــيـنـــا
يـــا عـنـــائى من ورائى وأنـــا صب عـــلـيـــل
لـــيت أوصـــافى لـــدائى إنـه الـفـعـل الجمـيـل
وإلى الله نـــــــدائى وهـو لى نـعـم الوكـيـل
آه من حــــــالٍ وقـــــالٍ لـيـتـنى فى الـبـاكـيـنـا
فـــاز من قـــام الــليـــالى بصلاة الخاشـــعـــيـنـــا
ليت شعرى ليت شعرى مـا يـقـول الـعـندليب
هـل لهجرى هل لوزرى هـل لـتـقصيرى طـبيب
قـــال إنى لست أدرى فـــأنـــا فيهـم غـــريب
قــــــلت دعنى وارتجالى لـــنـظـــام الـيـــاسمينـــا
فـــاز من قـــام الــليـــالى "بصلاة الخاشـــعـــيـنـــا

فقم قارعا للباب والنّاب نادما
على ماجرى وارفعْ دعاءك يصعد
وقم سائلا والدمع فى الخد سائل
تجد مَاتَشَا مِنْ لُطْفِه وكَأَن قَدِ
وقم زلفا فى الليل إن نشر الدجى
جَنَاح غُدَافٍ يُلبِسُ الكون يد
وَرُدَّ ظلام الليل بالذكر مُشرقاً
فقد فاز من بالذكر يَهْدى وَيهْتدَى[1]
ولله در سابق البربى حين يقول لعمر بن عبد العزيز
لو كان يُسهر لليلى ذكر آخرتى
كما يؤرقنى للعاجل السَّفَرُ
إذًا لداويت قلبا قد أُضَرَّ به
طول السقام وكسر العظم ينجبر[2]

---

(١) موارد الظمآن للسلمان ٣/٥٧٥ .

(٢) موارد الظمآن ٣/٣٧٠ .